عبدالله الزغبى

فى بداية عام ١٩٦٥ التقيت فلاحا مناضلا اسمه نصر خاض معركة ضارية ضد أحد كبار الإقطاعيين الذين قاموا بتهريب أراضيهم من الإصلاح الزراعى بعد أن كتبوا عقودا صورية لبيعها لصغار الفلاحين. وعندما تمسك «نصر» بعقد الملكية ضربوه وعذبوه فأضرب عن الطعام فى مقر الاتحاد الاشتراكى بدكرنس ورفعت له عدة قضايا.. عرضوا علىّ مائة ألف جنيه ثم مائتين كى أسلمهم نسخة عقد البيع ورفضت، فبدأ الاضطهاد.
«عبدالله الزغبى – فى حوار معه»

شأنه شأن كل أبناء متوسطى المزارعين تنقل عبدالله من بلد لآخر سعيا نحو الدراسة، قريته ميت السودان مركز دكرنس ليس بها مدرسة ابتدائية، المدرسة فى دكرنس، يوميا يذهب إلى دكرنس ويعود، ثم إلى المنصورة ليدرس الثانوية فى مدرسة طلخا، ثم إلى القاهرة ليدرس القانون، وفى ١٩٥٠ يتخرج محاميا ويفتتح مكتبا فى دكرنس وآخر فى دمياط ثم مكتبا فى المنصورة.

وإذا كان شباب هذه الأيام يتوزعون فى الدقهلية الصاخبة بالفعل السياسى بين الوفد والإخوان والشيوعيين فإن عبدالله غير هذه القاعدة وانضم إلى حزب صغير جدا اسمه حزب الفلاح الاشتراكى، سألته فيما بعد لماذا؟ قال «جذبتنى كلمة الاشتراكى»، وظل المحامى الشاب يزهو بفأس صغير من نحاس يعلقه فى عروة الجاكتة، ثم وإذا كان كل اليساريين يتجهون ليصبحوا أعضاء فى منظمة حدتو هو اختار ما اختاره صديقه طاهر عبدالحكيم ابن القرية المجاورة «القباب الكبرى» وانضم إلى تنظيم صغير جدا هو «نواة الحزب الشيوعى».

التقيته بعد أيام من ثورة يوليو ونحن ننسق مع الحزب الاشتراكى وتنظيم النواة «طاهر عبدالحكيم» لاتخاذ موقف موحد عند استقبال وفد مجلس قيادة ثورة يوليو، حضر طاهر

ومعه شاب طويل ورفيع بحيث تبدى بالنسبة لنا كنخلة، وكنا قد اتفقنا على شعار واحد «الإفراج عن المعتقلين والسجناء السياسيين» وما أن وقف جمال عبدالناصر حتى انطلقت هذه النخلة لتهتف بالشعار المتفق عليه والمثير للدهشة إن الآلاف التى احتشدت لتشاهد الحكام الجدد هتفت خلفه بحماس، وعبثا حاول عبدالناصر إسكات الزغبى الذى واصل الهتاف باصرار الضابط غير المدرب فغضب وانسحب هو والضباط، وبعدها بفترة استدعيت من القاهرة حيث أدرس لأمر مهم بالمنصورة، وهناك التقيت طاهر وعبدالله ورتبنا معا الهتافات والحشد لمؤتمر خطابى سيتحدث فيه فتحى رضوان وكان وزيرا وجاء ليبرر قرار حل الأحزاب، رغم أنه كان رئيسا للحزب الوطنى الذى كان عبدالله قد انضم إليه، وبدأ المؤتمر وقبل أن يفتح فتحى رضوان فمه انطلق عبدالله كعادته «خنت ذكرى فريد» و«خنت ذكرى مصطفى كامل»، والحشد الكبير الذى أعددناه يردد الهتاف وتدخل الأمن وطارت الكراسى وإنفض المؤتمر وفى لحظة وجدت يدا تسحبنى عبر فتحة فى السرادق لنفلت.. وكان عبدالله الزغبى، لكن الأمن تعرف على هذه النخلة التى أفسدت مؤتمرين جماهيريين، ويقبض عليه ليمضى فى الاعتقال من ١٩٥٤ وحتى ١٩٥٦.

الآن هو عضو فى حزب كبير فقد اتحدت حدتو مع عدد من المنظمات الصغيرة ليتكون الحزب الشيوعى الموحد ويصبح عبدالله عضوا فى قيادة منطقة بحرى ويصبح ملء السمع والبصر فى منطقة دكرنس متبنيا قضايا الفلاحين والإصلاح الزراعى ومشاكل التعاونيات الزراعية ثم يقبض عليه فى ١٩٥٩ ويبقى حتى ١٩٦٤ وذلك بعد فترة هروب أسهم فيها فى إعادة تنظيم الحزب فى القاهرة وتم تصعيده عضوا فى اللجنة المركزية حتى قبض عليه بعد قرابة العام من النضال الجاد والمكثف إذ قبض عليه فى ٢١ نوفمبر ١٩٥٩ ليقدم إلى محكمة أمن الدولة ويحكم عليه بالسجن خمس سنوات أشغال شاقة، وتداهمه الزائدة الدودية فينقل من سجن القناطر إلى قصر العينى ويفلت من قصر العينى هاربا. بجلباب وحافى القدمين وبلا مليم معه قبض عليه وهو يحاول التسلل إلى القطار المتجه إلى المنصورة.

وبعد الإفراج عن الجميع تجمعنا فى المنصورة، داهمنا قرار حل الحزب، لكننا صممنا على العمل معا، افتتح عبدالله مكتبه فى المنصورة، حيث أصبح بالفعل محاميا للفلاحين المطالبين بأرض الإقطاعيين، والإقطاعى متحصن بنفوذ قوى فابنه مستشار لأحد كبار

المسئولين، لكن عبدالله واصل معاركه معهم وعندما أضربوا عن الطعام أضرب معهم، وأرسل لى مجموعة وثائق فنشرتها فى أول مقال لى فى جريدة أخبار اليوم بعنوان «وانتصر نصر» فى اليوم التالى زارنى فى مكتبى بالأخبار مندوب عن الإقطاعى ساومنى عارضا مبلغا كبيرا من المال فشتمته وإذا بعبدالله يبلغنى بعدها بأنهم عرضوا عليه مائتى ألف جنيه وهو مبلغ هائل فى هذا الزمان وهو أيضا رفض، وبالفعل انتصر الفلاحون وحصلوا على الأرض، وفى ١٩٦٧ ترك عبدالله المنصورة ليعمل محاميا فى التأمين الصحى بالإسكندرية لكن قيد الوظيفة أرهقه فاستقال فى ١٩٧٤ ليعود محاميا بالقاهرة، سألته لماذا القاهرة؟ تململ وتردد ثم قال سئمت من النضال الفئوى وأريد العمل لإعادة تأسيس الحزب الشيوعى، لم يكن يعلم أن أكثر من رفيق فى أكثر من مجموعة يفعلونها، ورويدا رويدا برزت مجموعة «السمر» أى ذوى البشرة السمراء التى ضمت زكى مراد ومبارك وسيف صادق وأنا، ومجموعة «الحمر» نسبة إلى الشعر الأحمر للدكتور مختار السيد ويقبض عليهم نتيجة خطأ أمنى، ثم يفرج عنه، وبعدها بقليل اتصل عبدالله تليفونيا قائلا: أريدك بعد غد فقلت: تعال الآن لكنه صمم على الموعد الذى أراد، وبعد غد أتى وبلا مقدمات قال «اليوم عيد ميلادى الخمسون» وأريد أن أبدأ رحلة عمل مفيد وانضم إلى التجمع، ومضى عبدالله الزغبى ليصبح بحق محاميا للفلاحين، لا يتقاضى منهم أجرا، ويدفع لهم الرسوم من جيبه الخاص ويشكل منهم قواعد للحزب.

ويمضى عبدالله الزغبى ليكون قياديا فى التجمع، وعندما أتاه رفيق يطلب إليه أن يرفع له دعوى تعويض عن أيام الاعتقال وهى دعاوى تحولت إلى كنز لكثير من المحامين التقدميين يرفعون الدعوى ويتقاضون نصيبا كبيرا من التعويض لكن عبد الله نظر إلى الرجل فى غضب وصاح كم يساوى يوم سجن من أجل الشعب والوطن؟ كم تساوى لحظة تعذيب على يدى الجلادين؟ كيف نبيع تضحياتنا؟ وكيف أتقاضى أنا نسبة من ذلك؟ وعندما عاتبته على حدته وكنت حاضرا للحديث قال إن استلام التعويض هو صك غفران للفاشست الذين عذبونا وسجنونا، ويواصل عبدالله الزغبى زهده فى الثراء وإصراره على النضال المجانى دفاعا عن الفقراء.. حتى يرحل فقيرا ولكن شريفا.. بل أكثر شرفا من كثيرين الذين تاجروا بآلام السجن فى ظل شعارات شديدة الثورية.